الفصل الثانى

الاستيطان

الاستيطان

مدخل جغرافى:

فلسطين بلاد قديمة استوطنها الإنسان منذ أقدم العصور، وتواردت على سكانها مجموعات مختلفة من البشر، وعاصرت أنواعًا شتى من الغزاة والحاكمين. وتقع فلسطين على الساحل الشرقى للبحر المتوسط، بين خطى الطول ٣٤,١٥ و ٣٥,٤٠ درجة شرقى غرينتش، وخطى العرض ٢٩,٣٠ و٣٢,١٥ شمالاً، وتحدها من الشرق سوريا والأردن، ومن الشمال لبنان وجزء من سوريا. كما يحدها من الجنوب مصر وخليج العقبة، وتبلغ مساحة فلسطين العربية حوالى ٢٧٠٠٩ كيلومترًا مربعًا. تقسم على أربع مناطق تتميز كل منها عن الأخرى فى نظام سطحها ومناخها ونباتها وهى: منطقة السهول: وأبرزها السهل الساحلى، وسهل مرج "ابن عامر"، وتشكل ١٧٪ من مساحة فلسطين. منطقة النقب: وتشكل ٥٠٪ من المساحة العامة تقريبًا. المنطقة الجبلية: وتشكل ٢٨٪ من المساحة العامة. وادى الغور: ويشكل ٥٪ من المساحة العامة لفلسطين[١].

وتمثل فلسطين الجزء الجنوبى الغربى من وحدة جغرافية كبرى فى المشرق العربى، تعرف ببلاد الشام. ولم يتم تقسيم هذه الوحدة تقسيمًا سياسيًا إلى أربع دول هى: سوريا ولبنان والأردن وفلسطين إلا بفعل الاستعمار فى أعقاب الحرب العالمية الأولى وتطبيق اتفاقية "سايكس بيكو"[٢] على بلاد الشام.

---

(١) فلسطين . . أرض وشعب، نبيل السهيلى، ص١٢ .

(٢) هى اتفاقية بين بريطانيا وفرنسا، ومتممة لاتفاق رئيسى بين بريطانيا وفرنسا وروسيا لتقسيم الدولة العثمانية والاستيلاء على المشرق العربى فى أعقاب دخول الأتراك الحرب إلى جانب ألمانيا. فبينما كانت بريطانيا تفاوض الشريف "حسين بن على" عندما أعلن ثورته ضد الدولة العثمانية وتعده وتمنيه طوال عام ١٩١٥م لتحقيق ما يحلم به وهو قيام دولة عربية كبرى من حدود تركيا إلى سيناء ومن البحر إلى إيران، كانت بريطانيا تجلس=

وعمومًا يحد فلسطين من الغرب البحر الأبيض المتوسط على ساحل طوله ٢٢٤كم، ومن الشرق سوريا على حدود طولها ٣٦٠كم، ومن الشمال لبنان على حدود طولها ٧٩كم وجزء من سوريا، ومن الجنوب سيناء وخليج العقبة، ويبلغ طول الحدود المصرية الفلسطينية بين رأس طابا على خليج العقبة ورفح على البحر الأبيض المتوسط نحو ٢٤٠كم[١].

وتقع مدينة القدس على خط العرض ٣٢ درجة شمالاً وعلى خط طول ٣٥ درجة شرقًا، كما تبعد (٥٥) كيلومتر شرقًا من ساحل البحر الأبيض المتوسط، وحوالى (٣٠) كيلومتر غربًا من نهر الأردن. وقد أقيمت على أربعة جبال هى: جبل "موريا" أى المختار القائم عليه المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة، وجبل "صهيون" ويعرف بجبل النبى داود، ومعناه الجبل المشمس الجاف، وجبل "أكرا" حيث توجد كنيسة القيامة، وجبل "بزيتا" ويقع بالقرب من باب الساهرة، كما تحيط بالمدينة عدة جبال. وترتفع مدينة القدس حوالى (٨٩٢) مترًا عن سطح البحر، وتحيط بها مرتفعات عبارة عن تلال متوسطة الارتفاع، ويفصل ما بين تلك التلال والجبال المحيطة بها عدة أودية[٢].

=مع فرنسا تحديدًا فى مايو ١٩١٦م للتفاوض فى مستقبل البلاد العربية، فكان مندوب بريطانيا السير "مارك سايكس" عضو مجلس العموم البريطانى والمهتم بالشئون العربية، ومندوب فرنسا المسيو "جورج بيكو"، وأشرف على تلك المباحثات معتمد روسيا ووزير خارجيتها "سيرجى زازنوف"، فوزعت بريطانيا وفرنسا البلاد العربية بينهما، وبهذه الاتفاقية أصبح لفرنسا كامل النفوذ فى سوريا ولبنان، كما أصبح لبريطانيا كامل النفوذ فى العراق وفلسطين والأردن، وبذلك تمكن اليهود من فلسطين تحت رعاية بريطانيا (أنظر: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، لصالح مسعود ابو بصير، ص ٥٤ - ٥٨ بتصرف).

(١) عبد الوهاب الكيلانى (١٩٨٥). تاريخ فلسطين الحديث. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص١١.

(٢) عبد الحميد زايد (١٩٨٠). القدس الخالدة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص١٣.

وتعتبر أسوار القدس الحالية عملاً تركيًا خالصًا سواء تجسد هذا العمل فى إنشاءات جديدة أو ترميمات واسعة للعناصر البنائية القديمة، ويبلغ مجموع طول الأسوار حوالى ٤٢٠٠ متر، وتشكل ٦٠٠ متر منها الجدار الشرقى والجنوبى للحرم القدسى الشريف، ويبلغ طول السور فى الضلع الشمالى ٣٩٣٠ قدمًا (حوالى ١١٩٨متر)، وفى الشرقى ٢٧٥٤ قدمًا (٨٤٠ متر)، وفى الضلعين الجنوبى والغربى ٣٢٤٥ قدمًا (٩٩٠ متر) و٢٠٨٦ قدم (٦٣٦ متر)، أما ارتفاع السور فيتراوح بين ٣٨ و٤٠ قدمًا (١٢ متر تقريبا). وقد استخدمت الأحجار الجيرية فى إنشاء السور، وتختلف سماكة جدران السور وارتفاعه من موقع إلى آخر بحسب التضاريس الطبيعية للأرض[١].

ويمكن الدخول إلى المدينة المقدسة من السور عبر الأبواب الآتية: باب العمود وباب الساهرة وباب الجديد من الناحية الشمالية، ويعتبر باب العمود من أهم أبواب القدس ويسمى باب دمشق، وباب النصر أيضًا، وكان معروفًا فى العصر البيزنطى باسم باب "استيفن"، وهو باب مشهور ويعتبر المنفذ الرئيسى للقدس، وقد أعيد بناؤه سنة ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م فى عهد السلطان سليمان القانونى. أما باب "الساهرة" فقد ذكره المقدسى فى كتابه "أحسن التقاسيم" باسم "جب أرميا" وهو ذاته باب "هيرودس" أو باب "مادلين" فى العصر الرومانى، وقد أعيد بناء هذا الباب سنة ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م. كما يوجد باب "الأسباط" والذى يعرف باسم باب "ستى مريم" وأيضا باب القديس "استيفانوس"، ويقع شمالى الحرم إلى الشرق، وقد تم ترميمه أكثر من مرة آخرها أثناء التجديدات التى قام بها السلطان القانونى. ومن الناحية الغربية يوجد باب "الخليل"، ويعرف باسم باب "يافا" وأيضًا باب "محراب داود"، وقد تم تجديده سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م. ومن الناحية الجنوبية يوجد باب النبى داود، ويعرف باسم "صهيون"، وقد تم تجديده

---

(١) أحمد الصاوى (٢٠٠١). أسوار وبوابات القدس. مجلة القدس، عدد٣١، ص ص ٢٠ - ٢٥.

عام ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م، ويوجد أيضًا من نفس الجهة باب "المغاربة" وهو من أجمل وأشهر أبواب القدس، ويسمى باب "سلوان" وباب "الدباغة"، وتسميه المصادر البيزنطية باسم باب "المغارة" أو باب "القمامة"[١].

وفلسطين جزء من بلاد الشام، دخلها الإسلام أيام الصديق - رضى الله عنه - وكان على أرضها عدد من المعارك الحاسمة، فحل وأجنادين، ولها مكانة مقدسة فى نفوس العرب والمسلمين، وعلى أرضها كان انتصار المسلمين فى حطين عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م على يد صلاح الدين، وعلى ترابها حقق المماليك انتصارهم على المغول فى عين جالوت - قرب بيسان - عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م بقيادة قطز وبيبرس، ثم تبعت الدولة العثمانية.

إن أراضى فلسطين كانت ومازالت حجر الزاوية لتحقيق المنطلقات الاستراتيجية للحركة الصهيونية ووليدتها إسرائيل، فيما بعد، هذا إضافة على تهجير يهود العالم بوسائل مختلفة إلى فلسطين، فى مقابل ذلك سعت الحركة الصهيونية لتهجير سكان فلسطين العرب، وتهويد الأرض تدريجيًا عبر التسلل إليها بطرق مختلفة، وإنشاء الهيئات الصهيونية للأغراض المذكورة، مثل الصندوق القومى اليهودى "الكيرن كايميت"، والوكالة اليهودية، وغيرها من المؤسسات الصهيونية، فضلاً عن ذلك كان للتحالف الصهيونى مع القوى الاستعمارية وفى طليعتها بريطانيا الأثر الأكبر فى تحقيق التوجهات الصهيونية.

لقد استهدفت عملية تكوين السكان اليهود فى فلسطين قبل عام ١٩٤٨ زيادة أعداد اليهود باضطراد عن طريق الهجرة، ورفع نسبتهم إلى باقى السكان بهدف الوصول من الأقلية الهامشية إلى الأغلبية التى تحكم البلاد. وحين لم يتسن ذلك بالأساليب السليمة كانت حرب عام ١٩٤٨ التى قلبت الميزان السكانى، حيث أصبح اليهود فى فلسطين هم الأغلبية، والعرب هم الأقلية، أما الضفة الغربية وقطاع غزة فقد بقيتا خالصتين من وجود اليهود فى عام ١٩٦٧ حيث قامت

(١) المرجع السابق، ص ٢٤ - ٢٥ بتصرف.

إسرائيل بزرع مستوطنين يهود فيهما، خاصة ما قامت به من تعبئة المستوطنات المتاخمة لخط هدنة عام ١٩٤٩ والأحياء المحيطة والقريبة من القدس بالمستوطنين اليهود[١]. ولعل بداية الزيادة فى عدد اليهود بمدينة القدس يرجع إلى موقف الدولة العثمانية التى سمحت لليهود بالهجرة من إسبانيا بعد طردهم فى نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر فى فلسطين، حيث لجأ بعض اليهود إلى مدينة القدس هربًا من الاضطهاد الذى مارسته ضدهم الكنيسة الكاثوليكية فى أوروبا وأقاموا فى منطقة جبل صهيون فى المحلة التى عرفت باسمهم "محلة اليهود"، وانقسم اليهود الذين جاءوا إلى القدس من أوروبا إلى قسمين: السفرديم، وهم الذين هاجروا إلى القدس من إسبانيا والبرتغال والمغرب إثر سقوط الأندلس، حيث ألف هؤلاء أغلبية اليهود فى القدس، ولغتهم مزيج من الأسبانية والعبرية. والأشكنازيم الذين قدموا إلى القدس من شرقى أوروبا ووسطها أى من ألمانيا وروسيا وبولندا ورومانيا لدوافع دينية[٢].

وفى القدس سكن اليهود ثلاث محلات هى: الشرف، والريشة، والمسلخ الوسطى. غير أنهم لم ينفردوا فى أية محلة، وإنما شكلوا تجمعات وسط أغلبية مسلمة، وعلى أية حال فيبدو أن عدد اليهود الوارد فى دفاتر التحرير مبالغ فيه، فإن يهود القدس اشتكوا إلى السلطات سنة ١٥٧٢م من أن عددهم فى دفاتر التحرير مغالى فيه، وقالوا فى شكواهم: إن كثيراً من الزوار اليهود الذين كانوا يقيمون فى المدينة بصورة مؤقتة أدخلوا فى الدفاتر دون وجه حق، وبناء على ذلك أمرت السلطات بإجراء إحصاء لليهود. وقد أظهرت الإحصاء أن عدد اليهود الذكور فى القدس كان (١١٥)، ومعنى هذا أن إجمالى عدد اليهود كان يتراوح بين (٥٠٠ - ٦٠٠) شخصا[٣].

---

(١) تكوين السكان اليهود فى فلسطين قبل سنة ١٩٤٨، فواز الشرقاوى، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مجلد ٢٠ (٢) ٢٠٠٦ .

(٢) غسان موسى، ص٦٢ .

(٣) زيدان كفافى (٢٠٠١). القدس عبر العصور. عمان.

لقد عـمد "هرتسل" فى المؤتمر الصهـيونى الأول الذى عقـد فى مدينة بال السويسرية فى عـام ١٨٩٧، إلى رسم سياسة منظمة لعـملية الزحف على أراضى فلسطين واستيـطانها وتهويدها، ومن ثم إيجاد وطن قومى للـيهود فى هذا البلد، وفضَّل الصـهاينة فى دعـواتهم الاستـيطانية اسـتخـدام كلمة "وطن" عـوضًا عن الدولة، نظرًا لأن كلمة "دولة" ستثير اعتـراضات جهات دولية عديدة، وبعد رسم هذه السياسـة الاستيطانية الصهـيونية المنظمة فى المؤتمر الأول، عمـد الصهاينة إلى تحـضيـر أدوات استـيطانيـة على ثلاث مسـتـويات: الأرض، الاستـيطان المنظم، والمفاوضات.

وتتمثل فحوى خطته فى الحصول على قطعة أرض فى العالم تكفى لإرضاء الاحتياجات الشرعية للأمة اليهودية، واعـتمد اليهود على مساندة حكومات جميع الدول التى كان يظهـر فيها العداء للسـامية حتى يحصلوا عـلى هذه السيادة. وفى مناقشة الاخـتيار بين الأرجنتين وفلـسطين لإقامة الدولة اليهـودية أكد قائلاً: "إن اسم فلسطين يجذب شعبنا بقوة نافذة عجيـبة"، وكان يطالب بمساعدة الحاخامات فى هذه الحملة لأنه توقع صعوبة إقناع اليهـود بالهجرة، ودائما ما كان يردد: "إن مجتمعنا العرقى خاص وفريد؛ لأن ما يجمعنا هو إيمان آبائنا"[١].

وكانـت خطة "هيرتسل" تتـمثل فى حـشد اليـهود والتـفاوض مع الـقوى الاستعـمارية. وبالتالى كان يجب البدء فى مـفاوضات مع تنشيط الحـملة الدعائية على أوسع مجال. وقد استمع لهيرتسل كل من السلطان والقيصر[٢] والبابا والملك

(١) مايكل بريور (٢٠٠٦). الكتاب المقدس والاستعمار. ص١٣٩

(٢) القيصر لـقب جاء من اسم عائلة يوليوس قيصـر الذى حكم روما ملكًا دون تاج من عام ٤٩ إلى عام ٤٤ق.م. وقد حـمل أوكتافيان، حـفيد أخى القيصـر وابنه بالتبنى اسم عم والده، ولُقِّب أوغُسْطُس أيضًا. أخذ الأباطرة الرومان الأربعة الذيـن جاءوا بعد أوكتافيان اسم القيـصر، بطريق النسب العائلى أو التـبنى؛ لأن الاسم أصبح مرتبطًا ارتباطًا وثـيقًا بفكرة الإمبراطور، بحيث صار نوعًا من الألقاب. وكان الإمبراطور عند اختياره الشخص الذى سيـخلفه فى مـنصب الحاكم الأعلى، يمنح خليـفتـه لقب القيـصر. وفى عـهد=

"فيكتور إمانويل" و"شامبرلين" وشخصيات قيصرية، والعديد من الشخصيات البارزة الأخرى.

ووصل هيرتسل وبعض رجاله إلى يافا ٢٦/ ١٠/ ١٨٩٨، وزاروا المستوطنين اليهود فى فلسطين، وفى ٢/ ١١/ ١٨٩٨ استقبل الإمبراطور الألمانى "ويليام الثانى" فى إقامته بالقرب من القدس "هيرتسل"، وعلم هيرتسل فى تلك اللحظة أن ألمانيا لا تؤيد أهداف الصهيونية، وفى مايو ١٩٠١ استقبل السلطان "عبد الحميد" هيرتسل فى جلسة عامة، ووعد "هيرتسل" السلطان بأن يسدد اليهود ديونه الخارجية ويطوروا تصنيع بلده، ومن جانبه وعد السلطان بحماية اليهود إذا لجأوا إلى تركيا كمواطنين، وقرر هيرتسل التفاوض مع انجلترا. وفى ٢٢/ ١٠/ ١٩٠٢ التقى هيرتسل مع "جوزيف شامبرلين" الوزير المكلف بالمستعمرات وشرح له أنه بمساندة القضية اليهودية ستضمن الإمبراطورية البريطانية عشرة ملايين عميل يخدمون عظمتها ونفوذها فى العالم[1].

والحق أن "هيرتسل" سافر إلى الأستانة فى ١٨ يونيو ١٨٩٦م لإقناع السلطان بالهجرة اليهودية وشراء الأراضى مقابل المساعدات والهبات المالية للدولة العثمانية، ولكن السلطان أبلغ وسطاء "هيرتسل" رفضه لهذه المحاولات بقوله

=الإمبراطورية البيزنطية كان يمكن إطلاق لقب القيصر على كل من يتم اختياره حاكمًا لبلد خاضع للإمبراطورية. ولقب القيصر موجود فى اللغة الروسية، وفى اللغة الألمانية، بتهجئة مختلفة فى اللغتين.

أما فى روسيا فكان أول حاكم روسى استخدم اللقب هو إيفان الرهيب عام ١٥٤٧م، وآخر حاكم استخدمه هو نيقولا الثانى (١٨٦٨ - ١٩١٨م)، وفى ألمانيا كان الأباطرة الألمان حكام الإمبراطورية الرومانية المقدسة يستخدمون هذا اللقب فى صيغته الألمانية، وقد أخذ الإمبراطور ولهلم الأول إمبراطور بروسيا لقب قيصر عام ١٨٧١م عندما أصبح إمبراطور لألمانيا الموحدة، وكان آخر القياصرة الألمان هو ولهلم الثانى الذى حكم من عام ١٨٨٨ حتى عام ١٩١٨م.

(١) المرجع السابق، ص ١٤٢ .

وكما أورده هيرتسل فى مذكراته: "لا أقدر أن أبيع ولو قدمًا واحدًا من البلاد؛ لأنها ليست لى، بل لأمتى، لقد حصلت أمتى على هذه الإمبراطورية بإراقة دمائها، وسوف تحميها بدمائها قبل أن تسمح لأحد باغتصابها منا. ليحتفظ اليهود بملاينهم، فإذا قسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل، إنما لن تقسم إلا على جثتنا، ولن أقبل بتشريحنا لأى غرض كان"[1].

وفى أغسطس ١٩٠٣ تفاوض "هيرتسل" مع الحكومة القيصرية بشأن تنشيط هجرة اليهود الروس، وقد اقترح "شامبرلين" إقامة المستوطنة فى أوغندا، وأكد هيرتسل أن أوغندا ما هى إلا مرحلة انتقالية للوصول إلى الهدف النهائى "فلسطين"، ورفع هيرتسل يده وقال: "إن نسيتك يا قدس فلتشل يدى اليمنى" مرتلاً ما جاء فى المزمور ١٣٧: "كيف نرنم ترنيمة الرب فى أرض غريبة. إن نسيتك يا أورشليم تُنسى يمينى. ليلتصق لسانى بحنكى إن لم أذكرك إن لم أفضل أورشليم على أعظم فرحى"[2] وهكذا استبعد المؤتمر فكرة إقامة دولة يهودية فى أوغندا.

وكان الهدف المشترك للمصرف اليهودى للمستعمرات عام ١٨٩٨ وللجنة الاستعمار، وللصندوق القومى اليهودى عام ١٩٠٥، وشركة تطوير أراضى فلسطين عام ١٩٠٨، كان الهدف لكل هذه المؤسسات الصهيونية الإشراف على عمليات انتزاع أراضى فلسطين وعمليات الاستيطان عليها، وتمويل تلك العمليات، والتأكد فيما بعد من نجاح المخططات، ورغم ذلك فإن برامج الصهيونية لم تتحقق حتى بداية الحرب العالمية الأولى، أى بعد ثلاثين عامًا من العمل الصهيونى الجاد فى رسم خريطة استيطانية، ولم يحالف النجاح للمشروع الصهيونى إلا بشكل محدود حيث كان الصهاينة يشكلون أقلية، ولم تتجاوز نسبتهم ١٪ من مجموع

---

(١) رفيق النتشة (١٩٩١). عبد الحميد الثانى وفلسطين. (ط٣). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ص١٧٦.

(٢) مزمور ١٣٧: ٤ - ٦.

يهود العالم[1] وقد وصلت نسبة اليهود من مجموع سكان فلسطين آنذاك أقل من ٨٪، ولم يمتلكوا سوى ٢٪ من مساحتها[2] كذلك نرى من الناحية القانونية، أن الصهيونية فشلت فى الحصول على الاعتراف السياسى بها سواء من السلطات العثمانية أو من أية دولة أوروبية بيد أن الحرب العالمية الأولى أوجدت تحالفات جديدة بين الدول الاستعمارية مما أدى إلى تهيئة ظروف سهلت النشاط الاستيطانى الصهيونى فى فلسطين، ومهدت الحرب قيام تحالف أبرم فى عام ١٩١٧ بين بريطانيا والصهيونية، تمخض عن صدور وعد بلفور، الأمر الذى قاد إلى انتزاع المزيد من الأراضى الفلسطينية، وتوج بإقامة إسرائيل فى الخامس عشر من مايو عام ١٩٤٨.

ففى ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ أصدرت الحكومة البريطانية تصريحها الشهير الذى يطلق عليه وعد بلفور الذى كان وزير خارجية بريطانيا فى ذلك الحين، وقد صدر التصريح فى وقت كان العرب يحاربون فيه إلى جانب الحلفاء على أمل أن تتحرر بلادهم من النفوذ التركى، لكن هذا لم يمنع بريطانيا من إصدار هذا التصريح الذى يعادى المصالح العربية جملة وتفصيلاً. وكانت خلاصة التصريح أن حكومة بريطانيا تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين، وستبذل أقصى جهودها لتحقيق هذه الغاية. ولم تجرؤ الحكومة البريطانية على إعلان التصريح على عرب فلسطين وقت صدوره حرصًا على عدم إثارة المشاعر العربية، بل أعلنته فى فبراير ١٩٢٠. ولم يكن العرب يتصورون أن هذا التصريح المكون من عدد محدود من الكلمات سيصبح حجر الأساس فى إقامة الدولة اليهودية بعد ثلاثين عامًا من صدوره[3].

---

(١) الاستعمار الصهيونى فى فلسطين، سلسلة دراسات رقم ١، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث، بيروت، تشرين الثانى ١٩٦٥ ص١٥.

(٢) المرجع نفسه ص١٦.

(٣) عادل غنيم، تصريح بلفور الثانى، مجلة شئون الشرق الأوسط، ع١١، يوليو٢٠٠٤.

وما أشبه الليلة بالبارحة فكان وعد بلفور الثانى، عفوًا: وعد "بوش" لرئيس الوزراء الإسرائيلى "شارون" الذى صدر فى ١٤/٤/٢٠٠٤ بخصوص الانسحاب من قطاع غزة وموافقته لإسرائيل على ضم ٦ تجمعات سكانية إسرائيلية كبيرة فى الضفة الغربية لإسرائيل، ورفضه حق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أماكنهم التى نزحوا منها من إسرائيل ١٩٤٨[١].

وفور انتهاء الحرب العالمية الأولى شرع المنتصرون فى تقسيم غنيمة الحرب، حيث انتدبت فرنسا على سوريا، وانجلترا على فلسطين والعراق، وحملت عصبة الأمم بريطانيا المسئولية فى إقامة دولة يهودية مع الحفاظ على الحقوق المدنية والدينية لكل سكان فلسطين بدون تمييز على أساس العرق أو الدين.

ويبدو جليًا عدم اهتمام عصبة الأمم بالسكان العرب وتجاهلها إياهم؛ لأنه لم يتم على الإطلاق استعمال كلمة "عربى" فى النص. وعقب الاشتباكات التى اندلعت فى القدس فى أغسطس ١٩٢٩ أرسلت انجلترا لجنة اكتشفت أن سبب الاشتباكات هو معارضة العرب للسياسة التى تنص على إقامة دولة يهودية على حسابهم.

"وتحقق الحلم الصهيونى، وتواطأت القوى الدولية جمعاء لإقامة مملكة يهوذا فى فلسطين البقعة المباركة فى العالم الإسلامى لتصبح بؤرة التفجر الدائمة فى المنطقة، ولتشرد مئات الآلاف من المسلمين عن أرضهم، ولتعمل على طمس الحضارة الإسلامية فى فلسطين "[٢].

وبعد فشل الصهاينة فى "إقناع" الفلسطينيين - عن طريق شراء الأراضى والإرهاب - بترك الأرض بحيث تصبح أرضًا بلا شعب، قرَّر الصهاينة بعد احتلالهم فلسطين جميعها عام ١٩٦٧ اللجوء إلى أسلوب آخر وهو تأسيس

---

(١) المرجع السابق.

(٢) عمر عبد العزيز (١٩٩٦). تعصب اليهود. القاهرة: دار الاستقامة. ص٣٤١ .

"المعازل"، ومن ثم أصبح من أهم أهداف المستوطنات قطع التواصل بين مناطق سكنى الفلسطينيين، بحيث ينقطع الاستمرار بين المراكز السكانية الفلسطينية الأساسية، أى أن وظيفة المستوطنات أصبحت تحويل الضفة الغربية إلى "كانتونات" ممزقة مفصولة بعضها عن بعض ولا تربطها سوى ممرات محدودة تحيط بها من كل جانب المستوطنات والثكنات العسكرية للجيش الإسرائيلى بحيث لا يستطيع الفلسطينيون التحرك بحرية داخل الأراضى المحتلة. وبالفعل قامت المستوطنات الموزَّعة فى كتل أو أطواق بخدمة إستراتيجية "الفصل" و"الوصل" الاستيطانية. فالأطواق الاستيطانية المحيطة بالقدس تؤمن التواصل فيما بينها وبين القدس الغربية، وتفصل القدس الشرقية عن سائر الضفة، كما تفصل شمال الضفة عن جنوبها، فى آن واحد. كما أن الشريط الاستيطانى المحاذى للخط الأخضر يُشكِّل استمرارًا إقليميًا لفلسطين المحتلة سنة ١٩٤٨، وعازلاً بين الفلسطينيين على جانبى الخط، على غرار الهدف الذى حدده "دروبلس" لخطة "الكواكب السبعة". وينطبق الأمر نفسه على كتلتى الاستيطان فى جنوب مرتفعات "الجولان" وشمالها، وعلى كتلة مستوطنات "إيرز" الناشئة فى شمال قطاع غزة. أما كتلة "قطيف" الاستيطانية فى جنوب القطاع فستُشكِّل تطويقًا لمدن القطاع، وعازلاً صهيونيًا على الحدود الفلسطينية المصرية[1].

علم الآثار يشهد:

المعلومات الأثرية تستجلى المعلومات من البقايا المادية للإنسان، ولأن الشعب الفلسطينى كان موجودًا على أرض فلسطين منذ أقدم العصور، فلابد أن تكشف التنقيبات الأثرية عن مثل هذه الآثار المادية. وقد أسفرت هذه الكشوف بالفعل عن جوانب متعددة من التراث الثقافى والروحى الضخم الذى خلفته الشعوب العربية القديمة (السامية)، وبخاصة الكنعانية التى استقرت فى فلسطين مع مطلع العصر

---

(١) راجع: المسيرى، مرجع سابق، ج٧، ص٣٩.

التاريخى. ولكن السلطات اليهودية المهيمنة الآن على الكشف الأثرى تعمل على طمس معالم الحضارة العربية الكنعانية.

إن الإحساس بالماضى مرتبط تمامًا بالهوية السياسية والاجتماعية فى الحاضر، وخطاب الدراسات التوراتية يطالب بهذا الماضى لمصلحة إسرائيل ويعتبر "مملكة إسرائيل القديمة" حقيقة تاريخية لا جدال فيها، ومن ثم التأكيد على وجود استمرارية تاريخية بين مملكة إسرائيل القديمة وبين دولة إسرائيل الحديثة، ورغم ذلك فقد اعترف بعضهم بحقيقة ما وصلوا إليه من حفريات.

"إسرائيل فلنكشتاين" عالم آثار إسرائيلى فى جامعة تل أبيب، شكك فى وجود أى صلة لليهود بالقدس. فقد نشر تقريرا فى مجلة "جيروزاليم ريبورت" يقول فيه: "إن علماء الآثار اليهود لم يعثروا على شواهد تاريخية أو أثرية تدعم بعض القصص الواردة فى التوراة، بما فى ذلك قصص الخروج والتيه فى سيناء وانتصار يوشع بن نون على كنعان. لقد تطور الإسرائيليون القدماء من الحضارة الكنعانية فى العصر البرونزى المتأخر فى المنطقة"[1].

ومعظم الباحثين درسوا تاريخ العبرانيين والإسرائيليين استنادًا إلى التواتر السردى للنص: مرحلة الآباء. الوصول إلى مصر، ثم الخروج وغزو بلاد كنعان والأرض الموعودة، ثم الاستقرار وإنشاء مملكتى إسرائيل واليهودية. إننا اليوم نسير الطريق بالعكس. من الأكثر حداثة حتى الأقدم. لقد جاهرنا لرؤية تاريخ قدماء العبريين يعيشون فى إسرائيل منطلقين من وجهة نظر هؤلاء الذين كتبوا هذا التاريخ القديم فى مرحلة متأخرة، وقد مكنتنا الحفريات من معرفة شروط حياة الناس فى تلك العصور. انطلاقًا من ذلك يمكننا أن نجرب فهم لماذا وكيف كتبوا هذا القسم أو ذاك من النص التوراتى. لقد كتب النص أولا وتقريبًا قرابة نهاية

---

(١) سليمان العسكرى، مرارات ابتلاع القدس، مجلة العربى، عدد٥٨٢، مايو ٢٠٠٧، ص٩.

مملكة يهوذا، وتحت حكم "يوشيا" أى فى القرن السابع ق.م، وأكمل أثناء النفى فى بابل والعودة إلى إسرائيل، أى فى القرن السادس. وبعدها فإن قسمًا كبيرًا من التوراة كان أسطوريا دعائيًا، وما كتب أيام يوشيا كان لدعم توسع مملكته، وليس معنى عدم مطابقة الأثريات المحيطة فى مصر وأشور مع نص التوراة أن النص مبتدع كليًا، ذلك أن التاريخ دائمًا ما ينفع فى الأيديولوجيا[1].

ويؤكد "فيكتور سيجلمان": أن شرعية وجود دولة إسرائيل هو المطروح، وليس فقط الأراضى التى احتلت عام ١٩٦٧، فبعد المؤرخين الجدد، جاء دور الأثريين الجدد فى إسرائيل، الذين وضعوا النص التوراتى محل الشك خصوصًا حول تاريخية الآباء والأنبياء وحول معبد سليمان. وعليه إن الأيديولوجيا الصهيونية التى أسس اليهود دولتهم على أرض الأجداد بناء عليها لم تعد بالحسبان. إن علماء الآثار لم يعثروا على أى أثر لخراب معبد، ولا مملكة متألقة لسليمان ولا أى شىء آخر. والنص التوراتى الذى ليست له قاعدة مادية حقيقية، ليس سوى اختراع أدبى، لكن ذلك لا يبدل أبدا ارتباط الشعب اليهودى بهذه البقعة المسماة أرض إسرائيل، وبالعربية فلسطين[2].

ويوضح "مائير دوف"، وهو من أبرز علماء الآثار فى إسرائيل، أنه لا توجد آثار لما يسمى بجبل الهيكل تحت المسجد الأقصى، مؤيداً بذلك الأصوات السابقة التى كشفت عن ذلك، ولا سيما علماء الآثار الإسرائيليين بقسم التاريخ بالجامعة العبرية. ويؤكد أنه فى أيام النبى سليمان - عليه السلام - كان فى هذه المنطقة هيكل الملك الرومانى "هيرودوس" وقد قام الرومان بهدمه، أما فى العهد الإسلامى فلم يكن هناك أثر للهيكل، وفى العهد الأموى بنى المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة. وقد جاء المسلمون إلى هذه الديار وبنوا على تلك الصخرة

---

(١) فرج الله صالح ديب، علماء الآثار فى إسرائيل، جريدة النهار اللبنانية، الأحد ٢٠٠٢/٨/١٨.

(٢) المرجع نفسه.

التى وجـدت فى تلك المنطقـة التى ليس لهـا أى عـلاقـة مع الهيكـل، كمـا أن الصليبيين هم الذين أطلقوا على الصخرة اسم صخرة الهيكل[1].

وقد أجـرت "جريس هالسيل" مـقابلة مع عالم الآثار الأمـريكى "جوردن فرانز" الذى أمضى عامين فى أعمال الحفريات - مـقيمًا فى معهد الأرض المقدسة - فى القدس، وكان برفقته مجسم للقـدس القديمة فى عهد المسيح - عليه السلام - الذى صممه "إيـفى يوناه" اليهودى الإسرائيلى - عن الهيكل الثانـى كما يقول الإسرائيليـون - ... فى هذه المقابلة أقر هذا العـالم بأنه لا توجد دلائل على أن الهيكل كان هناك، أو لم يكن هناك[2].

ومن خلال الحفريات التى أجرتهـا عالمة الآثار البريطانية "كينون" Kenyon فى مدينـة القدس تمكنت من العـثور على مـبان فى أسفـل السفح الشرقـى لجبل "أوفل" تعود إلى العـصر البرونزى الأوسط (٢٠٠٠ - ١٥٥٠ق.م) وهو عـبارة عن جدار سمكه متران يتجه من الجنوب إلى الشمال، وكان لهذا الجدار زاوية تتجه إلى الداخل فى الجهـة الشمـالية يختـفى بعدها الجدار تحت سـور المدينة الذى بُنى بعده بزمن طويل، وارتأت "كـينون" أن سور المدينة اليبوسى كـان هو ذاته سورها فى العصر البرونزى المتأخر (١٥٥٠ - ١٠٠٠ق.م)[3].

وهكذا فإن المكتشفات الأثرية أثبـتت بما لا يدع مجالاً للشك بأن الكنعانيين وأصلهم من العـموريين المهاجـرين من شبه الجـزيرة العربيـة إلى أرض كنعان فى فلسطين هم أول الشـعـوب التى اسـتوطنت أرض مـدينة القـدس، كـما أكـدت المكتشفات الأثريـة أن اليبوسيين العرب هم آخر الأقـوام التى دخلت مدينة القدس القديمة واستوطنوا وعاشوا فيها قبل الاحتلال الإسرائيلى، فعملوا على إعادة بنائها وتحصينها من أعدائها، وبقايا السور اليبوسى لهو شاهد على ذلك.

---

(١) العسكرى، ص١٠.

(٢) أنظر: جريس هالسيل، النبوة والسياسة، ترجمة: محمد السماك.

(٣) كامل العسلى، القدس فى التاريخ، ص٣٥.

كما أن المكتشفات الأثرية من قبل علماء اليهود تكذب ادعاءات اليهود فى الحق التاريخى، وتثبت أنها أساطير لا صلة لها بالحقيقة العلمية. وبالتالى فإن أرض فلسطين عربية الهوية والتاريخ، ثم أصبحت بالفتح الإسلامى إسلامية الهوية والانتماء، بل إسلاميتها تمتد إلى الأنبياء والمرسلين الذين سكنوها عبر التاريخ؛ لأن الأنبياء جميعًا مسلمون، والمسلمون من أهل فلسطين هم ورثتهم الشرعيون، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥)﴾[1].

ثم بعد ذلك تجد وثيقة "رابطة الدفاع اليهودية" التى كتبها اليهودى الصهيونى الأمريكى "دانيال ياسبس" أكبر مساعدى "بنيامين كاهانا"، ابن الحاخام الإرهابى "مائير كاهانا" مؤسس هذه الرابطة، تقول هذه الوثيقة: "إن القدس هى أعظم مدينة دينية بالنسبة لليهودية". وقد روج اليهود هذه الدعوى حتى تبنتها الكاثوليكية، ومن قبلها البروتستانتية، فوجدنا بابا الفاتيكان "يوحنا بولس الثانى" يتحدث عن القدس فيقول: "منذ عهد داود الذى جعل أورشليم عاصمة لمملكته، ومن بعده ابنه سليمان الذى أقام الهيكل، ظلت أورشليم موضع الحب العميق فى وجدان اليهود الذين لم ينسوا ذكرها على مر الأيام، وظلت قلوبهم عالقة بها كل يوم، وهم يرون فى المدينة شعاراً لوطنهم"[2].

ووجدنا كذلك التحالف البروتستانتى فى أمريكا تحت تأثير الصهيونية المسيحية، عندما جعل الكونجرس الأمريكى يقرر عام ١٩٩٥ نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، وبناءها على أرض الأوقاف الخيرية الإسلامية، ينص فى مقدمة هذا القرار على أن "القدس هى الوطن الروحى لليهودية".

---

(١) سورة الأنبياء: ١٠٥.

(٢) عن مقال الأنبا يوحنا قلتة - الأهرام فى ١٢/٥/١٩٩٧.

وبالمنطق العلمى المجرد، فاليهودية هى شريعة نبى الله موسى - عليه السلام - الذى ولد ونشأ وعاش فى مصر، ولم تر عينه القدس فى يوم من الأيام، كما أن توراة اليهودية نزلت فى مصر. فأين هى العلاقة الروحية التى يتحدثون عنها بين اليهودية والقدس؟

وبلسان الوثيقة السابق ذكرها يقولون: إن اليهود يصلون فى اتجاه القدس، ويذكرون اسمها فى صلواتهم. وهنا السؤال يطرح نفسه: هل صلاة أبناء دين من الأديان تجاه مدينة من المدن ترتب لأبناء هذا الدين حقوقًا وطنية أو سياسية أو سيادية فى هذه المدينة؟

إن الأرثوذكس الروس واليونان والصرب والمصريين والأحباش يصلون جميعًا تجاه القدس، وكذلك كل شعوب الكاثوليك، فهل يكون هذا التوجه سببًا فى وجود حقوقًا سياسية أو سيادية أو وطنية للمدينة؟

وبمنطق اليهود، ألم يكن داود وسليمان - عليهما السلام - من الملوك وليسوا من الرسل، وبالتالى فإن وجودهم فى القدس وعلاقتهم بها هى علاقة الاستيلاء السياسى والحربى، وليست علاقة دينية. كما أن علاقة داود وسليمان بالقدس عارضة بالنسبة لعمر القدس، فقد بدأت هذه العلاقة فى القرن العاشر قبل الميلاد بعد أن كان عمر القدس قد بلغ ثلاثة آلاف عامًا حيث أسسها اليبوسيين أجداد العرب الفلسطينيين قبل الميلاد بأربعة آلاف عام.

لقد أقام العرب المسلمون وحكموا فى الأندلس ثمانية قرون، وبنوا فيها المساجد التى لا تزال قائمة حتى الآن، فهل يكون ذلك سببًا فى وجود حقوق لهم فى إسبانيا والبرتغال؟[1].

---

(١) راجع الدراسة القيمة التى قام بها الأستاذ الدكتور محمد عمارة: القدس بين اليهودية والإسلام، دار نهضة مصر للطباعة والنشر (١٩٩٩).

حائط البراق وليس المبكى:

يقول تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[1].

يمجِّد الله نفسه ويعظم شأنه، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، لا إله غيره، ولا رب سواه، فهو الذى أسرى بعبده محمد ﷺ زمنًا من الليل بجسده وروحه، يقظة لا منامًا، من المسجد الحرام بـ "مكة" إلى المسجد الأقصى بـ "بيت المقدس" الذى بارك الله حوله فى الزروع والثمار وغير ذلك، وجعله محلا لكثير من الأنبياء؛ ليشاهد عجائب قدرة الله وأدلة وحدانيته. إن الله سبحانه وتعالى هو السميع لجميع الأصوات، البصير بكل مُبْصَر، فيعطى كُلا ما يستحقه فى الدنيا والآخرة. ركب الرسول - ﷺ - البراق حتى باب المسجد حيث ربط الدابة فى مكان بالحائط الغربى للحرم، فى الحلقة التى كان يربط فيها الأنبياء من قبل، ودخل المسجد حيث صلى بالأنبياء ثم عرج به إلى السماوات العلى[2] ومن ذلك الوقت عرف أهل القدس سواء بالتواتر أو بالتوارث أنه يوجد مكان فى الحائط الغربى للحرم القدسى يسمى البراق[3] فماذا عن هيكل سليمان؟

قام سيدنا سليمان ببناء هيكله فى أُورشليم ليكون مسجداً للعبادة، ولا دليل على المكان الذى بنى فيه الهيكل، فبعض المصادر تقول أنه خارج ساحات المسجد، وبعضها يقول أنه تحت قبة الصخرة. وطبقًا للمصادر التاريخية فقد تم بناء الهيكل وهدمه ثلاث مرات: الأولى قام "نبوخذ نصر"[4] ملك بابل بهدم أسوار أورشليم

---

(١) سورة الإسراء: ١ .

(٢) أنظر: تفسير ابن كثير، ج٣ .

(٣) أنظر: عادل غنيم، الهوية العربية والإسلامية لحائط البراق، مجلة شئون الشرق الأوسط، عدد٢١، ٢٢، ٢٠٠٧ .

(٤) نبوخذ نصر البابلى، من أشهر حكام الدولة البابلية، خلدت التوراة حروبه وخاصة مع مدينتين هما: أورشليم عاصمة يهوذا، وصور المدينة الحصينة. انتصر على المملكة=

وهدم الهيكل وسبى عددا كبيرا من اليهود إلى بابل عام ٥٨٨ ق.م. وهو ما أكده سفر أرميا حيث يقول: " ٣هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هذِهِ الْمَدِينَةُ سَتُدْفَعُ دَفْعًا لِيَدِ جَيْشِ مَلِكِ بَابِلَ فَيَأْخُذُهَا "[١] ثم اقرأ فى الإصحاح التاسع والثلاثون: " ١فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِصِدْقِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا فِي الشَّهْرِ الْعَاشِرِ، أَتَى نَبُوخَذْ نَصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ وَكُلُّ جَيْشِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَحَاصَرُوهَا... وَقَتَلَ مَلِكُ بَابِلَ كُلَّ أَشْرَافِ يَهُوذَا. ٧وَأَعْمَى عَيْنَيْ صِدْقِيَّا، وَقَيَّدَهُ بِسَلاَسِلِ نُحَاسٍ لِيَأْتِيَ بِهِ إِلَى بَابِلَ. ٨أَمَّا بَيْتُ الْمَلِكِ وَبُيُوتُ الشَّعْبِ فَأَحْرَقَهَا الْكَلْدَانِيُّونَ بِالنَّارِ، وَنَقَضُوا أَسْوَارَ أُورُشَلِيمَ. ٩وَبَقِيَّةُ الشَّعْبِ الَّذِينَ بَقُوا فِي الْمَدِينَةِ، وَالْهَارِبُونَ الَّذِينَ سَقَطُوا لَهُ، وَبَقِيَّةُ الشَّعْبِ الَّذِينَ بَقُوا، سَبَاهُمْ نَبُوزَرَادَانُ رَئِيسُ الشُّرَطِ إِلَى بَابِلَ... " ثم أُعيد بناء الهيكل مرة أخرى فى الفترة من ٥٢٠ إلى ٥١٥ ق.م وهدم الهيكل للمرة الثانية خلال حكم السلوقيين على يد الملك "أنطيوخوس" الرابع بعد قمع الفتنة التى قام بها اليهود عام ١٧٠ ق.م، ثم أُعيد بناء الهيكل للمرة الثالثة على يد هيرودوس الذى أصبح حاكمًا على اليهود عام ٤٠ ق.م بمساعدة الرومان، ثم هدم الهيكل للمرة الثالثة على يد الرومان الذين فتحوا مدينة القدس عام ٧٠ م ودمروها بأسرها كما دمروا الهيكل تمامًا[٢].

لقد تحققت نبوءة المسيح عليه السلام بالتدمير الأخير للهيكل على يد الرومان حيث قال: "اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لاَ يُتْرَكُ هُهُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ"[٣].

وعندما حدثت حادثة الإسراء لم يكن بهذا المكان بناء معروف بالمسجد الأقصى، وإنما كان المكان الموجود بين أسوار الحرم الشريف بالقدس مكانًا

=الجنوبية لليهود (يهوذا) عام ٥٩٧ق.م، وأسر جميع اليهود إلى بابل. استمر ملكه ٤٣ سنة. (أنظر: أحمد سوسة، العرب واليهود فى التاريخ، ص ١٩٠).

(١) أرميا ٣٨: ٣ .

(٢) عادل غنيم (٢٠٠٣). حائط البراق أم حائط المبكى، القاهرة: مركز بحوث الشرق الأوسط. ص ٢١ .

(٣) إنجيل متى، ٢٤: ٢ .

مخصصًا لعبادة الله تعالى، وإنما سمى فى القرآن بالمسجد لأنه مكان للعبادة، أما بالنسبة للمسجدين المعروفين الآن بمسجد الصخرة والمسجد الأقصى فقد أمر بنائهما الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - بصورة بسيطة، وأعاد بناء المسجد الأقصى الخليفة عبد الملك بن مروان عام ٧٢هـ وأتمه من بعده ابنه الوليد بن عبد الملك عام ٨٦هـ، وقد تم رصد خراج مصر سبع سنوات كانت الأموال تحمل إلى القدس حتى تم البناء[١] وقد تهدم المسجد الأقصى الذى بنى فى العصر الأموى نتيجة الزلزال الذى وقع فى عام (١٣٠هـ/ ٧٤٧م) وأمر أبو جعفر المنصور بترميمه فى عام (١٥٤هـ/ ٧٧٠م) ثم تعرض لزلزال آخر فى عام (١٥٨هـ/ ٧٧٤م) فأمر المهدى بإعادة بنائه وتوسيعه[٢].

وتجدر الإشارة هنا إلى حديث أبو ذر الغفارى الذى ورد فى الصحيحين أنه سأل رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع فى الأرض؟ فقال ﷺ: "المسجد الحرام". قلت: ثم أى؟ قال: "المسجد الأقصى". قلت: كم بينهما؟ قال: "أربعون سنة". ثم قال ﷺ: "وحيثما أدركتك الصلاة فصل، والأرض لك مسجد".

وقد التبس فهم الحديث عند البعض فقالوا: إن الذى بنى المسجد الأقصى هو سليمان - عليه السلام - والذى بنى المسجد الحرام هو إبراهيم وابنه اسماعيل - عليهما السلام - وبينهما وبين سليمان أكثر من ألف سنة، فكيف قال ﷺ إن بين المسجدين أربعين سنة؟

وهنا يجب معرفة أن الوضع غير البناء، والذى أسس المسجد الأقصى ووضعه فى الأرض بأمر الله تعالى هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهما السلام - وبين إبراهيم وحفيده يعقوب هذه المدة التى جاءت فى الحديث.

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ المقدسات الإسلامية فى فلسطين على مر العصور. وخالد عزب، قباب الحرم القدسى الشريف، مجلة العربى، ع٦٠٦، مايو ٢٠٠٩.

(٢) أحمد صبرى الدبش (٢٠٠٠). المسجد الأقصى من شيده. مجلة القدس، عدد١٥، مارس ٢٠٠٠، ص ص ١٠٢ - ١٠٥.

أما سليمان - عليه السلام - فلم يكن مؤسسًا للمسجد الأقصى أو واضعًا له، وإنما كان مجددًا فلا إشكال.

ويؤكد وليم ف أولبريت[1] أن أبنية هيرودس فى أورشليم قد محت محوًا تامًا كل أثر للمبانى السابقة لها لدرجة لم يستطع معها الأثريون العثور على أية معالم مؤكدة من هيكل سليمان. كما يؤكد "كارين أرمسترونج" أن القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث فيقول: إن اليهود حتى عهد السلطان العثمانى سليمان القانونى (١٥٢٠ - ١٥٦٦م) لم يكن لهم مكان ثابت يؤدون فيه صلاتهم بالقدس، حيث كانوا يتجمعون للصلاة فى أماكن متفرقة على جبل الزيتون، وعند بوابات الحرم، عند الحائط الشرقى للحرم، وأن سليمان القانونى من باب التسامح الدينى مع اليهود أمر مهندسه "سنان باشا"[2] بتحديد موقع ثابت قرب الحرم يؤدون فيه صلواتهم، فحدد لهم موقعًا صغيرًا قرب الحائط الغربى للحرم القدسى الشريف مجاورًا لحى المغاربة الذى يعتبر وقفًا إسلاميًا منذ أواخر القرن الثانى عشر الميلادى[3].

---

(١) عالم أثار عمل مديرًا لهيئة المدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية فى القدس، ورئيسًا لعدة بعثات أثرية فى فلسطين.

(٢) سنان باشا (١٤٩٠ - ١٥٨٨م) مهندس معمارى من أمهر وأعظم المعماريين الذين ظهروا فى التاريخ، ولد فى إحدى قرى منطقة "قيصرى" فى قلب الأناضول. له أعمال كثيرة ومختلفة من العمائر فى أراضى الدولة العثمانية، ومن أشهر مبانيه جامع السليمانية، وجامع السليمية، وله أعمال معمارية فى الحرمين الشريفين بالحجاز، وفى بيت المقدس جامع ومدرسة وتكية، ومن أثاره فى فلسطين: صفد والأسواق فى عيون التجار وعكا وغيرها. عاش ما يقرب من المائة عام، وعاشر السلاطين بايزيد الثانى، وسليم الأول، وسليمان القانونى، وسليم الثانى، ومراد الثالث. (أنظر: مصطفى مراد الدباغ. الموجز فى تاريخ الدولة الإسلامية، ج٤، ص٢٤).

(٣) كارين أرمسترونج (١٩٩٨). القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث. ترجمة محمد عنانى وفاطمة نصر. القاهرة: دار سطور.

وقد اعتبر اليهود حائط البراق الشريف مقدسًا لهم وجعلوه حائط المبكى، وهو عبارة عن حائط من الحجارة الضخمة، يبلغ طوله ١٥٦ قدمًا وارتفاعه ٥٦ قدمًا، ويعتقد اليهود أنه الحائط الخارجي للهيكل الذى أعاد بناءه "هيرود" ودمره تيطس عام ٧٠م، ومما يجدر ذكره فى هذا السياق أن اليهود فى أعقاب حرب ١٩٦٧وعمدوا إلى تغيير الوضع الراهن منذ عام ١٩٢٩م وكان الانتداب البريطانى يعترف أن للمسلمين وحدهم الحق فى ملكية الحائط[١].

بعد وفاة سليمان القانونى عام ١٥٦٦ بدأت دلائل ضعف الدولة حيث تدهور النظام الاقتصادى تدريجيًا، وتعرضت الدولة لبعض الهزائم العسكرية، كما كان هناك تدهور واضح فى الأمن العام خاصة فى الطرق المؤدية للقدس التى أصبحت تحت رحمة البدو. وقد تمتع اليهود فى القدس فى عصر محمد على بحريتهم الدينية، ورغم اتباع تلك السياسة مع اليهود وتمثيلهم فى مجلس شورى القدس، لكنهم لم يتوقفوا عن رغبتهم فى الحصول على مزيد من المزايا، حيث طالبوا بالسماح لهم بشراء الأراضى نظير دفع الضرائب، لكن أعضاء مجلس القدس الشريف قرروا عدم جواز ذلك، وقد وافق "محمد على" على هذا القرار.

وعمومًا فإن العثمانيين فى عهد السلطان سليمان القانونى هم الذين منحوا اليهود حق التعبد عند حائط البراق من قبيل التسامح الدينى، فماذا كانت النتيجة؟!

أخذ اليهود يساومون على شراء المنطقة المحيطة بالحائط، وقاموا بنشر صور لهيكل يهودى مكان مسجد الصخرة، كما أذاعت لجنة الدفاع اليهودية بيانًا تحث فيه اليهود فى العالم أجمع أن يحتجوا أمام القنصليات، وأن يوضحوا مكانة حائط المبكى، وأن يكافحوا ولا يتهاونوا حتى يعود الحائط إليهم[٢].

---

(١) زايد، القدس الخالدة، ص٢٥٦ .

(٢) عادل غنيم (٢٠٠٣). حائط البراق أم حائط المبكى. ص٣٨ .

ثم كانت الوثيقة الصادرة عن اللجنة الدولية التى شكلتها عصبة الأمم فى ١٥ مايو عام ١٩٣٠ لتثبت أن الحائط الغربى للحرم القدسى الشريف هو حائط البراق وليس حائط المبكى، وأن المسلمين وحدهم لهم حق ملكية الحائط لكنه جزء لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف.

إن تاريخ القدس يدلنا دائمًا على نوع الحكم الذى يجب أن يقوم فيها. فإذا كان أعداء اليهود قد اختاروا دائمًا إخراجهم من القدس وهدم معبدهم وسبيهم، فإن هؤلاء قد اختاروا العنف دائمًا يردون به على العنف الذى ووجهوا به، لذا كانت لهم دائمًا مؤامراتهم التى كانوا يحاولون بها العودة إلى فلسطين. ويشهد التاريخ أن الفترة الوحيدة التى شهدت هدوءًا كاملاً وسماحة فائقة كفلت لأتباع كافة الأديان أن تصل إلى أماكنها المقدسة فى حرية تامة، وأن تؤدى شعائرها الدينية هى فترة الحكم الإسلامى للمدينة، لذا فإنه بقدر كبير من التجرد نستطيع أن نقول: إن نموذج الحكم العربى الإسلامى هو الذى يجب أن يتحقق فى تلك المدينة[١].

إن الإسرائيليين لم يستقلوا بحكم القدس سوى ٧٤ سنة فى عهد داود وسليمان عليهما السلام، وحتى هذه الفترة لم تخل من الخضوع غير المباشر تارة للفينيقيين وأخرى للمصريين، قد أكدت التوراة وكبار المؤرخين أن مملكة داود وسليمان كانت مائة وعشرين ميلاً فى الطول وستين ميلاً فى العرض، وأقل من ذلك فى أغلب الفترة التاريخية، ولا يستطيع أحد أن يثبت أن أرض فلسطين كلها أو نصفها كانت فى يوم من الأيام تحت سيطرة العبرانيين[٢].

---

(١) جعفر عبد السلام، ص ٩ - ١٠ بتصرف.

(٢) صالح حسين الرقب (٣٠٠ ٢). ليس لليهود حق تاريخى فى فلسطين. مجلة الجامعة الإسلامية، ج١١، ع١، ص ص ٣٩ - ٨٦ .

حقوق العرب فى فلسطين:

ترتكز حقوق العرب فى فلسطين على: حق **الفتح** الذى تم حين دخل العرب المسلمون فلسطين فاتحين، وانتصروا على الغزاة الرومان فى القرن السابع الميلادى عام ٦٣٨م وكانت الحروب فى تلك العصور وسيلة من وسائل فض المنازعات، وطريقًا مشروعًا لاكتساب ملكية البلد الذى يتم غزوه.

وأيضًا **حق التنازل** بمقتضى حق الصلح الذى أبرم بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وبطريرك الروم "صفرونيوس" عام ٦٣٨م وقد طلب أهل القدس من أمير المؤمنين أن لا يساكنهم اليهود فى هذه المدينة، ولم يزعم اليهود وقتها أن لهم حقًا فى القدس أو غيرها من المدن الفلسطينية[١].

علاوة على **حق التقادم** الذى يتمثل فى استيطان العرب أرض فلسطين طوال ثلاثة عشر قرنًا من الزمان تدعمت فيها عروبة فلسطين عن طريق ممارسة السلطة المستمرة، فيما عدا فترة زمنية قصيرة عندما احتل الصليبيون فلسطين فى نهاية القرن الحادى عشر (١٠٩٩م)، ولكن السلطان المملوكى خليل بن قلاوون استطاع القضاء على آخر معقل للصليبيين فى عكا عام ١٢٩١م وتم جلاؤهم عن فلسطين وعادت إلى العروبة والإسلام[٢].

لقد زعم قادة إسرائيل السياسيون والدينيون بأن أرض فلسطين هى أرض إسرائيل التاريخية التى عاش فيها أجدادهم وآباؤهم العبرانيون، وأن هذه الأرض ليست لشعب من الشعوب سواهم، فكانت الأرض العنصر الأساسى للاستيطان اليهودى، وهو موضوع المبحث التالى.

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، الطبرى، (العهدة العمرية).

(٢) الحركة الصليبية، سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٩٦٣ .